تفسير

سورة الأنبياء

كاملة

رامي حنفي محمود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

شبكة الألوكة
إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سلسلة كيف نفهم القرآن؟[1]

تفسير سورة الأنبياء كاملة

١. الربع الأول من سورة الأنبياء

- الآية ١: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ على جميع أعمالهم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عَمَّا يَنتظرهم مِن حسابٍ وجزاء، ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن الاستعداد لهذا الحساب بالإيمان والعمل الصالح (بعد ترْك الشرك والمعاصي).

- الآية ٢، والآية ٣، والآية ٤: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: ما مِن شيءٍ يَنزل من القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ أي جديد النزول، مُجَدِّدًا لهم التذكير والموعظة: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: أي كان سَماعهم له سَماعَ لعبٍ واستهزاء، ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: قلوبهم غافلة عن تدبر القرآن، مشغولة بشهوات الدنيا ومَلَذّاتها، ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي اجتمع الظالمون من رؤساء قريش على أمْرٍ خَفِيّ - لِيَصُدُّوا به الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم - فقالوا لهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾؟ يعني: ما محمد إلا إنسان مثلكم لايَختلف عنكم في شيء، وما تصديقكم لنُبُوّته إلا مِن أثر سِحرٍ سحَرَكم به ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ يعني فكيف تأتون إلى هذا الساحر ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: بَصَركم سليم؟، (وقد كَذَبوا في ذلك الادِّعاء الباطل، فإنه لو كانَ ساحراً، لسَحَرَهم لِيؤمنوا به، حتى يستريحَ هو وأصحابه من ذلك الإيذاء والتعذيب الذي يَلقونه منهم، وحتى لا يُخرجوهم مِن بلدهم وديارهم وأموالهم كما فعلوا).

♦ واعلم أن المقصود بوصف القرآن بأنه (مُحدَث) أي حديث النزول على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يَنزل آية بعد آية وسورة بعد سورة، بحسب الحوادث والأحوال.

♦ فلمَّا أخبر اللهُ رسوله بالكلام الذي قالوه، أخبرهم صلى الله عليه وسلم أنّ اللهَ الذي عَلِمَ تَحَدُّثهم سِرّاً، يَعلم كل قول في السماء والأرض فـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سِرّاً كانَ أو علانية)، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا أسررتموه مِن حديثكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالكم وكيدكم، (وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لهم).

---

1 وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي" ، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.
- واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- الآية ٥، والآية ٦: ﴿بَلْ﴾ جَحَدَ الكفار بالقرآن، واضطربت أقوالهم فيه بعد أن شعروا بالهزيمة في أن يأتوا بمِثله، فـ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ يعني منهم مَن قال: إنه أحلام مُختلَطة رآها في المنام، ومنهم مَن قال: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ أي اختلق محمد القرآن مِن عند نفسه، ومنهم مَن قال: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (أي هذا الذي جاء به شِعر)، وإذا أراد أن نُصَدِّقه ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾: أي فليأتنا بمعجزة محسوسة كناقة صالح، وعصا موسى وسائر معجزات الرُسُل مِن قبله.

♦ فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ يعني: لا توجد قرية - قبل كفار مكة - طلب أهلها المعجزات فآمَنوا بها لَمَّا تحققت لهم، بل إنهم كَذَّبوا بها فأهلكناهم، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني أيُؤمِن كفار مكة إذا تحققت المعجزات التي طلبوها؟! (والاستفهام للنفي) يعني: كلا إنهم لن يؤمنوا، (إذاً فلا معنى مِن إعطائها لهم ونحن نعلم أنهم لن يؤمنوا).

الآية ٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ - أيها الرسول - ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ أي رُسُلاً من الرجال (لا من الملائكة)، وكنا ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لِيُبَلِّغوا رسالات ربهم إلى الناس، (وقد كانَ هذا رداً على قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾؟).

♦ وإن كنتم - يا مُشركي قريش - لا تُصَدِّقونَ بذلك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أي اسألوا أهل الكتب السابقة، لِيُخبروكم أنّ الأنبياء كانوا بَشرًا وليسوا ملائكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، (واعلم أنّ الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين - إذا لم يكن عند الإنسان عِلمٌ منها - أن يَسأل مَن يَعلمها مِن العلماء المُتمكنين في العلم).

- الآية ٨، والآية ٩: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ يعني إننا لم نجعل أولئك الرسل خارجين عن طباع البشر (لا يحتاجون إلى طعامٍ وشراب)، بل جعلناهم أجساداً آدمية تحتاج في بقائها إلى الطعام والشراب، إذاً فلماذا يَعترض هؤلاء المشركون على كَوْن الرسول صلى الله عليه وسلم بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ لا يموتون، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ أي: ثم أنجزنا لهم ولأتْباعهم ما وعدناهم به من النصر والنجاة ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ على أنفسهم بالكفر والمعاصي.

♦ واعلم أنّ حرف (ثم) المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ هو ما يُعرَف في اللغة بـ (الترتيب الرتبي)، فكأنّ المعنى: (وأهَمُّ مِمّا ذُكِر أنّنا صَدَقناهم الوعد فأنجيناهم وأهلكنا الذين كَذَّبوهم).

- الآية ١٠: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ وهو هذا القرآن الذي ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي فيه عِزُّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة (إنْ تذكرتم به)، إذ هو أعظم من المعجزات التي طلبتموها، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني: أفلا تتفكرون فيه بعقولكم، لتؤمنوا به وتعملوا بما فيه؟!

- من الآية ١١ إلى الآية ١٦: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ يعني: وكثيرٍ مِن أهل القرى قصمناهم - بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم - بسبب ظُلمهم وكُفرهم ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آَخَرِينَ﴾ (كانوا خيراً من أولئك الهالكين)، ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أي فلمَّا رأى الظالمون علامات عذابنا الشديد نازلاً بهم: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي يُسرعون هاربينَ مِن قريتهم.

♦ فنادهُم الملائكة وهم يحاولون الفرار من العذاب: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾: أي لا تهربوا ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ أي ارجعوا إلى ما كنتم تتنعمون فيه من اللذات، وارجعوا إلى مساكنكم المُحصَّنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ أي لعل أحداً يَمُرّ بكم فيَسألكم عَمّا كنتم فيه من النعيم فتُخبِروه، أو لعله يُطلَب منكم شيئًا مِن دُنياكم لتفتدوا به من العذاب، (وهذا كله على سبيل السُخرية والاستهزاء بهم).

♦ فلمَّا يَئسوا من الهرب وأيقنوا بنزول العذاب: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا﴾ يعني يا هَلاكنا (والمقصود أنهم يَدعون على أنفسهم بالهلاك والموت، لُمشاهدتهم عذاب الله نازلاً بهم)، وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلمنا أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد، فعرَّضناها بذلك للخُسران والعذاب، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: فما زالت تلك المقولة - وهي الدعاء على أنفسهم بالهلاك واعترافهم بظلمهم - هي دَعْوَتَهم يُرَدِّدوها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾: أي لم نُبقِ منهم أحداً قائماً (كأنهم زرعٌ محصود)، وأصبحوا خامدينَ لا حياةَ فيهم (كالنار التي أُخمِدَت).

♦ ثم وَضَّحَ سبحانه أنّ إهلاكه لهذه الأمم المُشركة الظالمة كانَ دليلاً على أنه لم يَخلق الإنسان لعباً وعَبَثاً، بل خَلَقه ليَعبده ولا يُشرك به، ويطيعه ولا يعصيه، وأنه خَلَقَ السماوات والأرض ليُذكَر فيهما ويُشكَر، ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾، وإنما ليَعلم الناس أنّ الذي خَلَقَ ذلك كله، لا تصلح العبادة إلا له، وأنه سبحانه قادرٌ على أن يُحيي الموتى، لأنّ ذلك أهْوَنُ عليه مِن خَلْق السماوات والأرض.

- الآية ١٧، والآية ١٨: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ - من الولد أو الزوجة أو غير ذلك مِمّا نَسَبَهُ إلينا المشركون كَذِباً وافتراءً - ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: أي لاَتخذناه مِن عندنا لا مِن عندكم ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (وهذا يَستحيل في حقنا، لأن اللعب ليس من شأننا)، ولذلك بَرَّأَ سبحانه نفسه مِن ذلك فقال: ﴿بَلْ﴾ أي لا يليق بنا اتخاذ الزوجة والولد - لِغِنانا عن ذلك -، وإنما ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي نَرمي بالحق (وهو أدلة القرآن) ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ - وهو افتراء المُضِلِّين - ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيَشُقُّ الحقُ دماغَ الباطل فيُهلِكه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: فإذا بالباطل ذاهبٌ مغلوب لا يَبقى منه شيء، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يعني: ولكم - أيها المشركون - العذاب الشديد في الآخرة، مِن أجْل وَصْفِكم ربكم بغير وَصفه اللائق به، ومِن أجْل وَصْفكم لرسوله بالسحر والكذب والشعر، وأنتم تعلمون أنه الصادق الأُمِّي، الذي لم يقل الشعر ولم يتعلمه طوال حياته.

- الآية ١٩، والآية ٢٠: ﴿وَلَهُ﴾ سبحانه جميع ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكاً وتصرفاً وتدبيراً وإحاطة، (فهذا برهان آخر على بُطلان دعوى أنّ له تعالى زوجة وولداً، إذ هو خالقُ كل شيء ومالكه، فهل يُقالُ لِمَن صَنَعَ شيئاً إنه أبو المصنوع؟! لا يوجد قائلٌ بهذا أبداً، (فسبحان مَن لا يحتاجُ إلى زوجةٍ أو ولدٍ كما يحتاج البشر، وسبحان الغني القوي الذي له الصفات العُليا، والاستغناء التام عن خَلْقه وعبيده).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يَتعبون فيتركوا العبادة ليستريحوا، بل إنهم ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: أي يُسبِّحون الله ليلاً ونهاراً ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: أي لا يضْعُفون عن التسبيح، لأنه يخرج منهم كما يَخرج النَفَس من البشر، فكما أن البشر لا يتعبون من التنفس ولا يَمَلُّون منه ولا يُشغلهم عنه شيء، فكذلك الملائكة لا يَمَلُّون من التسبيح ولا يُشغلهم عنه شيء، (إذاً فكيف يجعلهم المشركون شركاء لله تعالى أو يزعمون أنّ له منهم ولداً وهُم لا يستكبرون عن عبادته ولا يَتعبونَ منها؟!)، (واعلم أن اللفظ (يَسْتَحْسِرُونَ) مأخوذ من الحَسير، وهو (الجَمَل) المُنقطع عن السير بسبب التعب).

- الآية ٢١، والآية ٢٢، والآية ٢٣: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾؟! يعني: هل اتخذ المشركون آلهة عاجزة من أحجار الأرض تقدر على إحياء الموتى؟! (والاستفهام للنفي والإنكار) يعني: كلا إنهم لا يُحيون الموتى، (والذي لا يُحيي الموتى لا يَستحق العبادة بحال من الأحوال، أمّا اللهُ تعالى فهو المُتفرِّد بالإحياء والإماتة، وأنتم تعلمون ذلك أيها المشركون، فلقد كنتم أمواتًا وأنتم في العَدم، فأوجدكم سبحانه ونَفَخَ فيكم الحياة، فكذلك لا يُعجزه إحياء الناس بعد موتهم).

♦ ثم أبطل سبحانه دعواهم في اتخاذهم آلهةً مع الله تعالى فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: أي لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله تُدَبِّر شؤونهما، لاَختلَّ نظامهما (لأنّ تَعَدُّد الآلهة يَقتضي اختلافهم في الإرادة والأفعال، مِمّا يؤدي إلى فساد نظام الكون)، ومِن هنا كان انتظام الكون قروناً عديدة دليلاً على أنّ خالقه واحد وأنّ العبادة لا تجب إلا له ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي تَقَدَّسَ اللهُ خالق العرش ومالكه والمُختص به، وتبرَّأَ عَمَّا يَصفه به الكافرون.

♦ ومِن دلائل تفرُّده سبحانه بالخَلق والعبادة أنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: أي لا يُسأل عن قضائه في خَلقه، لأنه المالك المتصرف، ولأنه العليم الحكيم، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ أي: وجميع خَلقه يَسألهم سبحانه عن أفعالهم، لكونهم عبيداً خاضعينَ لتدبيره وأقداره.

- الآية ٢٤: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾؟! يعني: بل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة لا تنفع ولا تضر! ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: أي هاتوا دليلاً على استحقاق هذه الآلهة للعبادة، ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾: أي فليس في هذاالقرآن (الذي هو ذِكر أُمّتي واتّعاظها)، ولا في الكتب السابقة دليلٌ على ما ذهبتم إليه، (فالكل يَشهد أنه لا إله إلا الله)، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني: بل أكثرهم قد أشركوا تقليدًا لآبائهم بغير عِلمٍ أو دليل، ولِذا ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن تأمل أدلة وبراهين القرآن العظيم.

- الآية ٢٥: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا أنا، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾: أي فأخلِصوا العبادة لي وحدي أيها الناس.

- من الآية ٢٦ إلى الآية ٢٩﴿وَقَالُوا﴾ أي قال المشركون: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ - بزَعْمهم أنّ الملائكة بنات الله - ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تَنَزَّه اللهُ وتَبَرّأ عن ذلك، ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ يعني إنّ الملائكة عبادٌ لله تعالى (ومَن كان عبداً لا يكون ابناً أو بنتاً لله تعالى)، وهُم ﴿مُكْرَمُونَ﴾ أي مُقرَّبونَ مُخصَّصونَ بالفضائل الكريمة.

♦ ومِن حُسن طاعتهم وأدبهم مع الله تعالى أنهم ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي لايتكلمون إلا بما يأمرهم به سبحانه (وهذا هو شأن العبد، أنه لا يتقدم سيده بشيء) ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي: وهم ولا يَعملون عملاً حتى يَأذن لهم، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي يَعلم جميع أفعال الملائكة (ما يُستقبَل منها وما مَضى)، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي لا تتقدم الملائكة بالشفاعة إلا لمن رَضِيَ اللهُ عن شفاعتهم له (ولا يكون هذا إلا لأهل التوحيد)، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: والملائكة - مِن أجل خوفهم مِن الله تعالى - يَحذرون أن يُخالفوا أمْره ونَهْيه، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: ومَن يَزعم من الملائكة أنه إلهٌ مع الله تعالى - على سبيل الفرض - ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾، و﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الذين يَتعدون حدودهم ويتجاوزون قَدْرهم.

****

٢. الربع الثاني من سورة الأنبياء

- الآية ٣٠: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني ألم يَعلم الكفار ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي كانتا مُلتصقتين لا فاصلَ بينهما ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي فَصَلناهما بقدرتنا، وأنزلنا المطر من السماء، وأخرجنا النبات من الأرض؟، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؟! يعني أفلا يُصَدِّقون بما يشاهدونه من الآيات الدالة على استحقاق الله وحده للعبادة، فيعبدوه وحده ولا يُشركوا به؟!

- الآية ٣١: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي جبالاً راسية لتثبيت الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي حتى لا تميل بهم وتتحرك (إذ لو تَحَرَّكَتْ بهم: ما استقامَ العيشُ عليها، ولَتَهَدَّمَ ما عليها وتَساقط)، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي جعلنا في الأرض طرقًا واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي ليهتدوا بهذه الطرق في الوصول إلى الأماكن التي يقصدونها، وليهتدوا بها أيضاً إلى توحيد خالقهم الذي أنعم عليهم بما فيه مصلحتهم.

- الآية ٣٢: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾: أي جعلنا السماء سقفًا للأرض، وجعلناها أيضاً محفوظة من السقوط، ومن اختراق الشياطين لها، ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾أي: والكفار غافلون عن التفكر في آيات السماء، إذ لو تفكروا فيها لاَستدلوا بها على توحيد الله تعالى وقدرته وعِلمه وحِكمته، (واعلم أن المقصود بآيات السماء: الشمس والقمر والنجوم).

- الآية ٣٣: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ لراحتكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتطلبوا فيه الرزق، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ خَلقهما سبحانه لإضاءة الأرض، ولتعرفوا الأيام والشهور، وغير ذلك مِن مَنافعكم، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الشمس والقمر ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي في مَدار خاص بهم، ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي يَجْرون في هذا المدار ولا يخرجونَ عنه، (إذ لو خرجتْ الأجرام السماوية مِن مَدارها، لَوَقَعَ التصادم بينهم، ولَحَدَثَ تدميرٌ للعوالم كلها، فسبحان العليم الحكيم القادر).

- الآية ٣٤: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ – يا محمد – ﴿الْخُلْدَ﴾ أي دوام البقاء في الدنيا، ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ بعدك؟! لا يكونُ هذا أبداً، (إذاً فلا معنى لأن يَنتظروا بك الموت حتى يتخلصوا مِن دَعْوتك ويَشمتوا بك).

- الآية ٣٥: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي ستذوق مَرارة مُفارقة الروح للجسد، ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ يعني: ونختبركم بما تظنونه شراً (كالفقر والمرض)، و بما تظنونه خيراً (كالغِنَى والصحة)، وقد جعلنا هذا الابتلاء ﴿فِتْنَةً﴾ أي اختباراً يُظهِر الصابر الشاكر من الساخط الجاحد، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم للحساب والجزاء.

- الآية ٣٦: ﴿وَإِذَا رَآَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ – أيها الرسول – ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي ما يتخذونك إلا استهزاءً وسخرية، إذ يُشيرونَ إليك قائلين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ﴾؟! يعني أهذا الرجل هو الذي يَسُبُّ آلهتكم ويَذكر عيوبها؟!، ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يعني: وهُم جاحدونَ بما أنزله الرحمن من القرآن والهدى.

♦ والمقصود من الآية: كيف يتألمون لذكر آلهتهم بسُوء (وهي تستحق السُوء فعلاً لعَجزها ونَقصها)، ولا يتألمون لجحودهم بألوهية ربهم الرحمن (الذي يَستحق العبادة وحده)، حتى إنهم أنكروا أن يكون "الرحمن" اسماً لله تعالى رغم أنهم يرون بأعينهم آثار رحمته؟!، إنّ هذا لَغاية الجهل والغرور وسُوء الفَهم.

- الآية ٣٧: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي خُلِقَ الإنسان عَجولاً يَستعجل وقوع الأشياء (وإن كانت تحمل له ضرراً)، وقد استعجل المؤمنون عقوبة الله للكافرين، واستعجلت قريشٌ العذابَ تكذيباً وعِناداً، فقال الله لهم: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾: أي سأريكم العذاب الذي وعدتكم به في آياتي القرآنية (ومِن ذلك ما حصل لهم يوم بدر) ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، (واعلم أنه قد دخل كثيرٌ منهم في الإسلام بسبب هذا الإمهال، فسبحانَ الله الحليم الحكيم).

♦ولَعَلّ قول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فيه إشارة إلى تَمَكُّن هذا الوصف منه، إلا مَن رحمه الله تعالى، وحَلاَّهُ بالصبر والحِلم.

- الآية ٣٨، والآية ٣٩: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: متى يحصل هذا العذاب الذي تَعِدُنا به يامحمد، إن كنت صادقاً أنت ومَن اتَّبعك؟، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لو يعلمون ما ينتظرهم من العذاب في جهنم ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ أي عندما لا يستطيعون أن يدفعوا النار عن وجوههم ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي: ولا يجدون لهم ناصرًا يُنقذهم من هذا العذاب، (لو يعلمون ذلك، ما استعجلوا عذابهم، ولَتابوا مِن شِركهم وعِصيانهم).

- الآية ٤٠: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ النار ﴿بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي فيَتحيَّرون عند ذلك، ويَخافون خوفًا عظيمًا، ﴿فَلَايَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: أي فحينئذٍ لايستطيعون دَفْعَ العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: ولا يُمْهَلون للتوبة والاعتذار.

- الآية ٤١: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي استَهزأ المشركون السابقون بالعذاب الذي وَعَدَتْهم به رُسُلُهم، ولكنّ رُسُلهم صبروا على استهزائهم ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾أي فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يَسخرون منه، فلم يستطيعوا الفرار، (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يَلقاهُ مِن استهزاء قريش واستعجالهم بالعذاب).

- الآية ٤٢: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب -: ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾؟! يعني: مَن الذي يَحفظكم ويَحرسكم - في ليلكم ونهاركم - مِن عذاب الرحمن إذا نزل بكم؟ (والجواب: لا أحد يستطيع أن يَرُدّ عذاب الله عنكم)، إذاً فلماذا لا تتوبون إليه بتوحيده وطاعته؟! ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ يعني: بل هم عن مواعظ القرآن وحُجَجه مُعرضون، فلا يَستمعون إليها ولا يتفكرون فيها، (وهذا هو السبب في عدم استجابتهم للحق).

- الآية ٤٣: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي تَمنعهم مِن عذابنا؟! ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾: يعني إنَّ آلهتهم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، فكيف يَنصرون عابدِيهم؟ ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ أي ولا يجدون مَن يُنقذهم مِن عذابنا.

- الآية ٤٤: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ﴾ الكفار ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ بالأموال والبنين ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي حتى طالت أعمارهم وهُم في هذه النعم، فظنوا أنها لا تزول عنهم، واغترّوا بإمهال الله لهم، واستمَرّوا على كُفرهم، وأعرَضوا عن تدبرّ حُجَج ربهم، ونسوا ما حدث للمكذبين قبلهم، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾؟ أي نُنقِص أرض الكفر، (وذلك بإهلاك قرى الكافرين، وبدخول أهل الجزيرة في الإسلام بلداً بعد الآخر، وبفتح بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين)﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟! يعني أيَستطيع كفار مكة الخروج عن قدرة الله تعالى أو الامتناع عن الموت؟! (والجوابُ: لا، بل الله تعالى هو الغالب، حيث مَكَّنَ لرسوله وللمؤمنين فَتْح مكة ودخول كثيرٍ مِن أهلها في الإسلام).

- الآية ٤٥: ﴿قُلْ﴾ لهم - أيها الرسول -: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ يعني: إنّ العذاب الذي أُخوِّفكم به هو وَحْيٌ أوحاه الله إليّ وأمَرني بإبلاغه لكم، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ أي: ولكنّ الكفار لا يسمعون هذا الإنذار سماع تدبُّر وانتفاع، وذلك بسبب حُبِّهم للباطل الذي هم عليه، (لأنّ حُبّ الشيء قد يُعمِي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبَّه، ويَصُمَّه بحيث لا يَسمعُ شيئاً غيره).

- الآية ٤٦: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ يعني: وإذا أصاب الكفارَ قدْرٌ قليل مِن عذاب الله يوم القيامة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ - صارخينَ نادمينَ -: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يعني يا هَلاكنا (والمقصود أنهم يَدعون على أنفسهم بالهلاك والموت حتى يستريحوا من هذا العذاب) ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ظلمنا أنفسنا بالشرك والمعاصي والتكذيب والعناد، فعرَّضناها بذلك للخُسران والعذاب.

- الآية ٤٧: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي يَضع اللهُ الميزانَ العادل للحساب في يوم القيامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ يعني: وإنْ كان هذا العمل قدْرَ ذرةٍ مِن خير أو شر: يضعها الله في ميزان صاحبها ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي: وكفى بالله تعالى مُحصيًا لأعمال عباده، ومُجازيًا لهم عليها.

♦ ويُحتمَل أن يكون اللهُ تعالى قد ذَكَرَ لفظ (الْمَوَازِينَ) بصيغة الجمع، إشارة إلى أنّ لكل عبد ميزان خاص به، ويُحتمَل أيضاً أن يكون ميزاناً واحداً توزن فيه أعمال العباد جميعاً، وإنما يَختلف الوزن باختلاف الأعمال الموزونة، والله أعلم.

- الآية ٤٨، والآية ٤٩: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: يعني أعطينا موسى وهارون حُجَّةً نَصرناهما بها على عدوهما، وأعطينا موسى كتاباً - وهو التوراة - فَرَقْنا به بين الحق والباطل والشرك والتوحيد، ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وكانت التوراة نورًا وموعظة يَهتدي بها المتقون ﴿الَّذِينَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ أي الذين يخافون عقاب ربهم وهُم لا يرونه في الدنيا، فلا يَعصونه بترك واجب ولا بفعل حرام، ﴿وَهُمْ مِنَ﴾ أهوال ﴿السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفونَ حَذِرون.

- الآية ٥٠: ﴿وَهَذَا﴾ القرآن هو ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ أي عظيم النفع لمن قرأه وتذكَّر به، وعَمِلَ بأوامره واجتنب نَواهيه، وقد ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، (وفي هذا ردٌ على قول المشركين في أول السورة: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآَيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾، فقد أعطى اللهُ تعالى محمداً القرآن كما أعطى موسى التوراة)، ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾؟! يعني أتنكرونه أيها المشركون وهو في غاية البلاغة والوضوح؟!

****

٣. الربع الثالث من سورة الأنبياء

- الآية ٥١: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ يعني أعطينا إبراهيم هُداه، (والمعنى أننا هديناه إلى معرفة ربّه ووجوب عبادته وحده)، وذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي مِن قبل أن نُوحِي إليه ونجعله من الأنبياء، ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي كنّاعالمين أنه أهْلٌ لإعطائه الرُشد والنبوة، وأنه جديرٌ للقيام بدعوة التوحيد.

♦ ويُحتمَل أن يكون قوله تعالى: (مِنْ قَبْلُ) أي مِن قبل موسى وهارون (اللذين ذكَرَهما الله في الآيات السابقة)، والله أعلم.

- الآية ٥٢، والآية ٥٣: ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ المشركين: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾؟ يعني: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم أقمتم على عبادها؟، فــ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، ونحن أيضاً نعبدها اقتداءً بهم، (وهذا دليل على جَهْلهم، إذ لم يَذكروا بُرهاناً على صحة عبادها، بل اكتفوا بالتقليد الأعمى لآبائهم مِن غير دليل).

- الآية ٥٤، والآية ٥٥: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في ضلال واضح بسبب عبادتكم لهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فــ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾؟ يعني: أهذا القول الذي جئتَنا به حقٌّ وَجِدٌّ، أم كلامك لنا كلام لاعب مستهزئ لا يدري ما يقول؟

- الآية ٥٦، والآية ٥٧: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿بَلْ﴾ أي لستُ لاعباً، وإنما ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي يَستحق العبادة وحده هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي الذي خلقهنَّ على غير مثالٍ سابق ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني: وأنا مِن الشاهدين على أنه لا رَبَّ لكم غيره، ولا معبودَ بحقٍ سواه، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ أي سوف أُلحِق بها الضرَر ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾: يعني بعد أن تَذهبوا بعيداً عنها وتتركوها وحدها.

- الآية ٥٨، والآية ٥٩: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أي: فحطَّم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، إلا أكبر صنم فيهم فإنه لم يَكسره، بل عَلّقَ الفأس في عُنُقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾: أي لِيَرجع القوم إلى هذا الصنم ويسألوه، فعندئذٍ يَتبيَّن لهم ضَلالهم وعَجزْ آلهتهم، وتقوم الحُجَّة عليهم، فيعبدوا اللهَ وحده، ولا يُشركوا به شيئاً.

♦ فلمَّا رجع القوم، ورأوا أصنامهم مُحطَّمة مُهانة، سأل بعضهم بعضًا، فــ﴿قَالُوا﴾: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾؟ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يتعدون حدودهم ويتجاوزون قَدْرهم.

- الآية ٦٠: ﴿قَالُوا﴾ أي قال مَن سمع إبراهيم وهو يَحلف بأنه سوف يكيد بالأصنام: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يَذكر الأصنام بسُوء، وهذا الفتى ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الآية ٦١، والآية ٦٢، والآية ٦٣: ﴿قَالُوا﴾ أي قال رؤساؤهم: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي على مَرأى من الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي لِيَشهدوا على اعترافه بأنه هو الذي كسر الأصنام، ولكي يَحضروا معاقبته، فيكون عِبرةً لغيره.

♦ فلمَّا أحضروا إبراهيم أمام الناس، ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟ (وهنا حَدَثَ ما أراده إبراهيم مِن إظهار جَهْلهم وقلة عقلهم أمام الناس)، فـ﴿قَالَ﴾ لهم - لِيَغلبهم بالحُجَّة -: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ يعني: إنّ هذا الصنم الكبير هو الذي كَسَّرها، ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: أي فاسألوا آلهتكم عن ذلك إن كانت تتكلم.

- الآية ٦٤، والآية ٦٥: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يَلومونها، إذ كيف يعبدون هذه الأصنام، وهي عاجزة عن أن تدفع عن نفسها شيئًا، أو أن تَرُدّ على مَن يسألها؟! ﴿فَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني أقرُّوا على أنفسهم بالظلم والشرك، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي رجعوا إلى باطلهم (بعد أن اعترفوا بالحق)، فقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ يعني: كيف نسألها يا إبراهيم، وقد عَلِمتَ أنها لاتتكلم؟

- من الآية ٦٦ إلى الآية ٦٩: ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم - مُحَقِّرًا لشأن أصنامهم -: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إذا عبدتموه، ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا تركتم عبادته؟! ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾: أي قُبحًا لكم ولآلهتكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! يعني أفلا تتفكرونَ بعقولكم فتُدرِكوا سُوء ما أنتم عليه من الباطل؟!

♦ فلمَّا بَطلتْ حُجَّتهم وظهر الحق، عادوا إلى استعمال سُلطانهم، فـ ﴿قَالُوا﴾: ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ﴾ يعني أحرِقوه بالنار انتصاراً لألهتكم التي كَسَرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: يعني إن كنتم تريدون نَصْرها حقاً، فلمَّا ألقوه في النار: ﴿قُلْنَا﴾ أي قال اللهُ تعالى للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (فلم تُصِبه النار بأذى، ولم تَحرِق إلا الحبل الذي ربطوه به)، (فسبحان المَلِك العظيم رب النار، وسبحان مَن خضعتْ المخلوقات لأمْره وقدرته، وسبحان مَن يقول للشيء كُن فيكون).

- الآية ٧٠: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي أرادوا بإبراهيم الهلاك ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (حيث أبطل اللهُ كَيدهم، ولم يصيبوه بشيء).

- الآية ٧١: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: أي نَجَّينا إبراهيم ولوطًا من "العراق" (التي كان يسكنها أولئك الكفار)، وأخرجناهما ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض "الشام"التي بارك الله فيها بكثرة الأشجار والأنهار والثمار، كما بارك فيها بكثرة الأنبياء، (فأقام إبراهيم في "فلسطين"، وأقام لوط في قرية "سَدُوم").

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- الآية ٧٢، والآية ٧٣: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي وَهَبنا لإبراهيم ولده ﴿إِسْحَاقَ﴾﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: أي ووَهَبنا له حفيده يعقوب زيادةً على طلبه (إذ طَلَبَ ولداً فأعطاه اللهُ إسحاق، وزاده ولداً مِن إسحاق)، ﴿وَكُلًّا﴾ مِن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أي جعلهم الله صالحين (مُؤَدّين لحقوق الله تعالى وحقوق الناس)، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي جعلناهم قدوة للناس ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يدعون الناس إلى توحيد الله وطاعته (وذلك بأمْره تعالى وتكليفه لهم)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أي أوحينا إليهم أن يفعلوا الخيرات (وهو كل أمْرٍ نافع يحبه الله تعالى ويَرضاه)، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ يعني أمرناهم بأداء الصلاة في أوقاتها (بخشوعٍ واطمئنان) ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ لمن يَستحقها، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾: أي كانوا مطيعين لله وحده، منقادين له لا لغيره.

- الآية ٧٤، والآية ٧٥: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي أعطيناه النُبُوَّة والحُكم بين المتخاصمين، والعِلم بأحكام الدين ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ أي التي كان يعمل أهلها الفواحش، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ أي كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى،﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ أي أدخلنا لوطاً ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ الخاصة بعبادنا المؤمنين، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي كان من الذين يعملون بأمر الله وطاعته، فاستحق الدخول في تلك الرحمة.

- الآية ٧٦، والآية ٧٧: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: واذكر أيها الرسول نوحاً حين نادانا - مِن قبل إبراهيم ولوط - فدعانا بأن ننصره على القوم الكافرين ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ المؤمنين ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الغرق، ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فلم يُصيبوه بسُوء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ أي كانوا أهلَ قُبح ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالطوفان.

- الآية ٧٨، والآية ٧٩، والآية ٨٠: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: واذكر أيها الرسول خبر داود وابنه سليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾: أي حين كانا يَحكمان في قضية الزرع التي عرَضَها خَصمان متنازعان ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي حين انتشرت غنم أحدهما في زرع الآخر ليلاً فأتلفت الزرع، فحَكَمَ داود بأن تكون الغنم ملْكًا لصاحب الزرع عِوَضاً عَمّا أتلفته، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي لم يَخفَ علينا شيءٌ مِن حُكمهم في هذه القضية،﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾: أي فَهَّمنا سليمان مُراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحَكَمَ على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف، وفي نفس الفترة يستفيد صاحب الزرع بمنافع الغنم مِن لبنٍ وصوف، ثم بعد أن يَتِمّ إصلاح الزرع: تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه.

♦ وحتى لا يظن أحد أن داوود عليه السلام كان أقل مِن ولده سليمان في العلم والحُكم، قال تعالى بعدها: ﴿وَكُلًّا﴾ - مِن داوود وسليمان - ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي أعطيناهما النُبُوَّة والحُكم بين المتخاصمين والعلم بأحكام الدين، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ أي تُسَبِّح معه إذا سبَّح الله تعالى، ﴿وَالطَّيْرَ﴾ أيضاً تُسَبِّح معه، ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي قادرينَ على فِعل ما هو أعجب مِن تسخير الجبال

والطير لِيُسَبِّحوا مع داود ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ أي عَلَّمه الله صناعة الدروع التي يلبسها المقاتل في الحرب ﴿لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي لتحمي المحاربين أثناء المعركة، فلا يؤثر فيهم السلاح، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لهذه النعمة التي أجراها الله على يد داود واختصه بها؟، (والغرض من هذا الاستفهام: الأمر، أي فاشكروا الله تعالى على هذه النعمة، وفي هذا دليل على جوب شُكر الله تعالى على كل نعمة تُستَجَدّ للعبد).

- الآية ٨١: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: أي سخَّرنا لسليمان الريح السريعة، لتَحمله ومَن معه من الجنود، فكانت ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض"بيت المقدس" بـــ "الشام" التي بارك الله فيها بالخيرات وبكثرة الأنبياء، (فكان عليه السلام يَخرج أول النهار غازياً، ثم تعود به الريح في آخر النهار تَحمل بساطه - الذي هو كأكبر سفينة حربية اليوم - إلى أرض الشام التي كانت مَقرُّه ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (ومِن ذلك عِلمنا بما فيه مصلحة سليمان).

- الآية ٨٢: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ يعني: وسخَّرنا لسليمان بعض الشياطين، ليستخدمهم فيما يَعْجز عنه غيرهم، فكانوا يغوصون في أعماق البحر لِيَستخرجوا له اللآلئ والجواهر، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: وكانوا يعملون له أعمالاً أقل تعباً من الغوص (كالبناء وصناعة التماثيل والمحاريب، وغير ذلك مِمّا أراده منهم)، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي مَنعهم الله أن يَعصوا أمْره، وكذلك حَفظَ أعمالهم حتى لا يفسدوها، (فقد رُوِيَ أنهم كانوا يريدون أن يُفسدوا ما عملوه - مَكْراً منهم وخِداعاً - حتى لا ينتفع به سليمان عليه السلام، فحَفظه الله مِن ذلك)، واللهُ أعلم.

****

٤. الربع الأخير من سورة الأنبياء

- الآية ٨٣، والآية ٨٤: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أي اذكر أيها الرسول - في هذا القرآن - خبر أيوب عليه السلام، حينَ ابتليناه بمرضٍ عظيم في جسده، وفَقَدَ ماله وولده، فصبر واحتسب الأجر عند ربه، وناداه - داعياً متضرعاً -: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي قد أصابني الضر، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي أرحم بي مِن أبي وأمي ومِن كل راحم، فاكشف هذا الضر عني، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ونداءه، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ ورفعنا عنه البلاء، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي: رزقناه أولاداً بعدد ما فَقَد (وزدناه مِثلهم)، وكذلك أعطيناه مالاً كثيراً، (فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل عليه جَرَاداً مِن ذهب) (انظر صحيح الجامع حديث رقم: ٢٨٦٣).

♦ وقد فَعَلْنا ذلك ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ بأيوب - بسبب صبره- ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ يعني: وليكون قدوة للعابدين إذا أصابهم البلاء، فيَصبروا مِثله، ويَحتسبوا الأجر عند ربهم، ليُجازيهم بأحسن الجزاء في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

- الآية ٨٥، والآية ٨٦: ﴿وَ﴾ اذكر في القرآن ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي كل هؤلاء الأنبياء كانوا من الصابرين على طاعة الله تعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فبذلك استحقوا الثناء الجميل في القرآن الكريم، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأنْ جعلناهم أنبياء، والسبب في ذلك: ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: يعني إنهم كانوا مِمَّن صلح باطنهم وظاهرهم، فأطاعوا أمْر ربهم واجتنبوا نَهْيه.

- الآية ٨٧، والآية ٨٨: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي: واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام، ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ أي حين أرسله الله إلى قومه فدَعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بعذاب الله فلم يتوبوا، ولم يَصبر عليهم كما أمَرَه الله تعالى، وخرَجَ مِن بينهم مُغاضِباً (أي غاضبًا على قومه، مُغضِباً لربه)، ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظَنّ أن الله لن يُضَيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر ﴿فَنَادَى﴾ ربه ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أي لا معبودَ بحقٍ إلا أنت ﴿سُبْحَانَكَ﴾ يعني حاشاكَ أن تظلم، فإنّ هذا البلاء أستحقه بمعصيتي ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ هذا الذِكر كانَ غرضه الدعاء (وإن لم يُصَرِّح يونس عليه السلام بالطلب)، فقد اعترف بذنبه، وأثنى على ربه، وتوسَّل إليه بتوحيده، فكأنه قال بعد هذا الذِكر: (فنَجِّني يارب مِمّا أنا فيه)، ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي استجبنا دعاءه ونداءه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: أي خلَّصناه مِن غَمّ حَبْسه في الظلمات، مع غَمّ نفسه بسبب ذنبه، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ العاملينَ بشرعنا (إذا تضرعوا إلينا بهذا الدعاء عند شدتهم).

- الآية ٨٩، والآية ٩٠: ﴿وَ﴾ اذكر خبر ﴿زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ ليرزقه الذرية، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: أي لا تتركني وحيدًا، لا وارثَ لي يقوم بأمر الدين مِن بعدي، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يعني: وأنت خير مَن يَبقى ويَرث، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ – رغم كِبَر سِنّه – ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: أي جعلنا زوجته صالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عقيماً، ﴿إِنَّهُمْ﴾أي زكريا ويحيى ووالدته ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي﴾ فِعل ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ – وهي كل عمل يُرضي الله تعالى – ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: أي كانوا يدعوننا راغبينَ فيما عندنا من النعيم، وخائفينَ مِمّا عندنا من العذاب، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي خاضعينَ متواضعين، مُتذللين لله في عبادهم.

♦ واعلم أنّ الخُشوع هو الذل والخوف من الله تبارك وتعالى، فالخاشعون ذليلون مِن كَثرة النعَم، وذليلون أيضاً من كثرة الذنوب، وهم الخائفون من المَلِك الجبار الذي سَيَحكم عليهم بجنة أو بنار.

- الآية ٩١، والآية ٩٢، والآية ٩٣: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: واذكر – أيها الرسول – خبر مريم ابنة عِمران التي حَفظت فَرْجها من الحرام، ولم تفعل فاحشةً في حياهّا، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (والمقصود بالروح هنا هو جبريل عليه السلام، الذي قال اللهُ عنه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وقال عنه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾)، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم، فنَفخ في جَيْب ثياها – وهو المكان الذي عند الرقبة – فوصلتْ النفخة إلىرَحِمها، فخلق اللهُ بتلك النفخة عيسى عليهالسلام، فحملتْ به من غير زوج، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي فكانت هي وابنها آيةً يَستدل ها الناس على قدرة الله تعالى.

♦ وقال الله تعالى للناس: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: إنّ هؤلاء الأنبياء جميعًا هم أئمتكم، إذ دينهم واحد، وهو الإسلام (الذي هو الاستسلام والانقياد والخضوع لأوامر الله تعالى، وعبادته وحده بما شرَع) ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ أي خالقكم ورازقكم ومُدَبّر أمركم، فلذلك لا يَستحق العبادة غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي اعبدوني أيها الناس ولا تشركوا بي أحداً مِن خَلقي، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: ولكنّ الناس اختلفوا بعد هؤلاء الأنبياء، وجعلوا دينهم مَذاهب تُعادي بعضها بعضاً، وأصبحوا فِرقاً وأحزاباً، وعبدوا المخلوقات والأهواء، و﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: أي كلهم راجعونَ إلينا ومُحاسَبونَ على أفعالهم، (ومِن ذلك تقطيعهم للإسلام إلى مِلَل مختلفة، كاليهودية والنصرانية وغيرهما).

- الآية ٩٤: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ – بإخلاصٍ لله تعالى وعلى النحو الذي شرعه – ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ورُسُله، وبما أخبرت به الرُسُل من الغيب: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لا نُكرانَ لعمله، (والمعنى أننا لن نُضيع عمله ولن نُبطله، بل نَجزيه عليه أحسن الجزاء) ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: وسيَجد هذا العمل مُثبَتٌ في كتابه يوم القيامة، لأن الملائكة تكتب أعماله الصالحة بأمر الله لهم، وسيُجزَى ها في جنات النعيم.

- الآية ٩٥: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يعني: ولقد حَرَّمَ اللهُ على أهل القرى - التي أهلكها بسبب كُفرهم وظُلمهم - فأولئك حَرَّمَ الله عليهم رجوعهم إلى الدنيا ليتداركوا أعمالهم السيئة (بالتوبة والاستغفار وصالح الأعمال)، فقد فات أوان ذلك، وليس لهم الآن إلا الحسرة والندم والعذاب والصراخ.

- من الآية ٩٦ إلى الآية ١٠٠: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: أي حتى إذا أَذِنَ الله بفتح سد قبيلتَي يأجوج ومأجوج (وهما قبيلتان عظيمتان موجودتان وراء السد الذي بناه ذو القرنين، والذي سيُفتَح عند اقتراب الساعة)، ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أي: وحينئذٍ سيَخرجون مُسرعين من كل المرتفعات (وهي الجبال الموجودة بالقرب من أراضيهم) ليأكلوا ويُدَمِّروا.

♦ والراجح أنّ كلمة (حَتَّى) - المذكورة في أول الآية - مرتبطة بالآية التي قبلها، لأنّ امتناع رجوع الأمم الهالكة إلى الدنيا لا يزول حتى تقوم القيامة، ثم يُرجَعونَ إلى ربهم للحساب.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: وحينئذٍ يكون يوم القيامة قد اقترب وظهرت علاماته وأهواله ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني فإذا بأبصار الكفار مفتوحة مِن شدة الفزع، لا تكاد تَطْرِف، وهم يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يعني يا هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي كنا غافلين عن الاستعداد لهذا اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (فاعترفوا بذنبهم حيث لا ينفعهم الاعتراف).

♦ وقال الله للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - مِمَن رَضِيَ بعبادتكم له - ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي حَطَبها الذي تُوقَد به، ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: يعني أنتم ومعبوداتكم الباطلة داخلونَ في جهنم جميعاً، و﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ الذين عبدتموهم من دون الله تعالى ﴿آلِهَةً﴾ تستحق العبادة: ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾: أي ما دخلوا النار معكم أيها المشركون، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: كُلٌّ من العابدين والمعبودين - الذين رضوا بعبادهم - خالدون جميعاً في نارجهنم ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أي لهم في النار آلامٌ شديدة يدل عليها زفيرهم (وهو التنفس والأنين الشديد)، إذ كلما أصاب العذاب أجسادهم، صرخوا من شدة الألم، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ يعني: وهُم في النار لا يَسمعون، وذلك مِن فظاعة العذاب الذي يُلهِبُ أجسادهم، ولكثرة الصُراخ وشدة الأصوات (نسأل الله العافية).

- من الآية ١٠١ إلى الآية ١٠٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾: يعني إن الذين كَتَبَ الله أنهم من أهل الجنة - بسبب إيمانهم وعملهم الصالح - ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾أي مُبعَدون عن النار، فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبًا منها، و﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي لا يَسمعون صوت لهيبها واحتراق الأجساد فيها، فقد سكنوا منازلهم في الجنة ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ - مِن نَعيمها ولَذّاتها - ﴿خَالِدُونَ﴾،﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أي لا يُقلِقهم الهول العظيم يوم القيامة، بل يَخرجون من قبورهم آمنينَ غير خائفين، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند قيامهم مِن قبورهم لتُبَشّرهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي هذا يومكم الذي وَعَدَكم الله فيه بالكرامة والسعادة وحُسن الثواب.

♦ ويتِمّ لهم ذلك الوعد ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ – وذلك حين تُبَدَّل الأرض بغيرها والسماوات بغيرها – فحينئذٍ يَطوي سبحانه السماوات السبع بيمينه ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي كما تُطوَى الورقة على ما كُتب فيها لتدخل في المظروف، ونَبعث الخلائق في ذلك اليوم ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي على هيئة خَلْقِنا لهم أول مرة (كما ولدتهم أمهاتهم)، وقد وَعَدْنا بذلك ﴿وَعْدًا﴾ حقًا، ﴿عَلَيْنَا﴾ الوفاء به، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي نفعل دائمًا ما نَعِدُ به، ولا يتخلف وَعْدنا أبداً.

♦ واعلم أنّ هذه الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ...﴾ قد نزلتْ رداً على أحد المشركين عندما قال: (إنْ كانَ ما يقوله محمدٌ حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم، فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وعيسى والعُزَير في جهنم لأن اليهود عبدوا العُزَير، والنصارى عبدوا المسيح)، فأخبر سبحانه أنّ مَن عَبَدَه الناس وهو غير راضٍ عن عبادهم له، وكانَ هو يَعبد الله وحده ويتقرب إليه بالطاعات التي شرَعها، فهو ممّن كتَبَ الله لهم الجنة كالمسيح عليه السلام.

– الآية ١٠٥: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أي كَتبنا في الكتب المُنَزَّلة بعد أن كَتبنا في اللوح المحفوظ: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (وهم الذين قاموا بما أمَرَهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه).

– الآية ١٠٦: ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي عِبرة كافية تَبلُغ بمَن يَعمل بها إلى الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي يَعبدون ربهم، بما شرَعه لهم.

– الآية ١٠٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ – أيها الرسول – ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي رحمةً لجميع الخَلق، فمَن آمَنَ بك سَعِد ونجا، ومَن لم يؤمن بك خابَ وخَسر، (واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أيضاً رحمةً لكُفار قريش من عذاب الإبادة والاستئصال الذي أصاب المُكذبين قبلهم، كما قال تعالى له: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾).

– الآية ١٠٨: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المشركين: ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ﴾– مِن ربي –﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾أي معبودكم الحق هو ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو الله الأحد الصمد، المستحق وحده للعبادة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟ (والمعنى: فأسلِموا له، وانقادوا لعبادته).

– الآية ١٠٩، ١١٠، والآية ١١١: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإنْ أعرض هؤلاء المشركون عن الإسلام ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾: يعني أبلغتكم جميعًا ما أوحاه الله إليَّ، فأنا وأنتم متساوون في العلم والإنذار، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ يعني: ولستُ أدري أقَريبٌ ما تُوعدونَ به من العذاب أم مُؤجَّلٌ إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: أي يَعلم ما تُعلِنونه من أقوالكم (ومِن ذلك طَعْنكم في الإسلام ونَبيِّه)، ﴿وَيَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ في نفوسكم مِن عداوتي وإرادة المكر بي (وسوف يُعاقبكم على ذلك).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة
شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾ يعني: ولستُ أدري، لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه هو استدراجٌ لكم ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي: وحتى تتمتعوا في الدنيا إلى وقت انتهاء آجالكم، لتغتروا بإمهال الله لكم فتزدادوا كفرًا، فيكون ذلك أعظم لعقوبتكم في جهنم، (واعلم أنّ الاستدراج: هو الأخْذ بالتدريج، واستدراجُ اللهِ تعالى لأهل الضلال - الذين يُصِرُّون على المعاصي ولا يتوبون منها -: أنهم كلّما جَدَّدُوا للهِ معصيةً، جَدَّدَ اللهُ لهم نعمة، حتى يأخذهم بذنوبهم وهم لا يشعرون، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتَ اللهَ تعالى يعطي العبدَ من الدنيا ما يحب وهو مُقيمٌ على معاصيه: فإنما ذلك منه استدراج) (انظر صحيح الجامع حديث: ٥٦١).

- الآية ١١٢: ﴿قَالَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي افصل بيننا وبين قومنا بالقضاء الحق (وذلك بنَصري عليهم في الدنيا)، وقال صلى الله عليه وسلم للكفار: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ (وذلك لأنهم أنكَروا أن يكون الرحمن اسماً لله تعالى حين قالوا: (وما الرحمن؟)) رغم أنهم يرون رحمته في كل شيءٍ أمامهم، وهو سبحانه ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي الذي نستعين به على إبطال ما تَصِفونه - أيها الكفار - من الشرك والتكذيب والافتراء على الله ورسوله.

****

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net